تطور صورة إبيقوروس عند لوكرتيوس

د. جمال الدين السيد أبو الوفا

كلية الآداب – جامعة المنيا

Abstract

The image of Epicurus evolves at Lucretius

Lucretius was a lover of Epicurus and one of the most adherents of Epicurean doctrine and epicurean ideas. He is the mentor of the nature of things. Morevoer, Lucretius is more complete and truthful than Epicurus's philosophy. Epicurean is the undisputed poem of Lucretius, his poem "De Rerum Natura", which has the title of Epicurus himself "in nature" and is the fundamental reference to the understanding of the Epicurean ideas. The fulfillment of Lucretius to his teacher sometimes made him translate his ideas literally, although he could write poetry and the strength of his hair style. Lucretius succeeded in creating a poem on a philosophical subject about nature.In wearing a Greek garment, Lucretius wanted to convey to Rome the philosophy of his teacher without deletion or addition.

Lucretius spoke of Epicurus in many places in his six books. The House (1042) of the third book is the only house in which Lucretius mentions the name Epicurus directly in the whole poem. He has always praised Epicurus' virtues and virtues in the beginnings of his books except for the second and fourth books. In addition, Epicurean and epicurean ideas can be identified through the Epicurus Epistles of Herodotus, Phytocalas and Menese, as well as basic judgment and Vatican rule.

Lucretius spoke of Epicurus at three stages, the first phase of the first book, where Epicurus represents "Graysian" (Graius homo, 66) as a man representing his compatriots in the task of standing up to the gods and overcoming false religious beliefs. The second stage of the third book

representing him as the spiritual father of them (tupateres, 9), offering his teachings with compassion (patria ..... praepta, 9f.); the Roman father is the basis of authority. The third stage comes in what we call Epicurus' "deification" in the form of confirmation in the beginning of the fifth book, "Deus illefuit, deus, 8." The word deus represents the height of the escalation in the praise, which began with homo in the first initiation, and, then, the father (pater) by the initiation of the third book.

الملخص العربي

من المعروف أن لوكرتيوس كان من المحبين لإبيقوروس، ومن أشد المعتنقين للمذهب الإبيقوري وللأفكار الإبيقورية، فهو معلمه ومرشده لطبيعة الأشياء، ويُعتبر لوكرتيوس أوفى وأصدق من قدم فلسفة إبيقوروس فقد أخلص فى عرضها عرضاً تاماً وواضحاً، والحق أن المصدر الرئيس الذى يقدم أوضح فكرة وأشملها عن المذهب الإبيقورى هو بلا منازع قصيدة لوكرتيوس ألا وهى قصيدته " في طبيعة الأشياء التي لها عنوان مؤلف إبيقوروس نفسه " فى الطبيعة " وتعتبر المرجع الأساسي لفهم الإبيقورية، لدرجة أن وفاء لوكرتيوس لمعلمه قد جعله أحياناً يترجم حرفياً أفكاره رغم تمكنه من كتابه الشعر وقوة أسلوبه الشعرى. لقد نجح لوكرتيوس فى إنشاء قصيدة تتناول موضوعًا فلسفيًا حول الطبيعة، كما نجح فى أن يكسو مادتها اليونانية ثوبًا رومانيًا، لأنه كان يريد أن ينقل إلى روما فلسفة معلمه دون حذف أو إضافة، وياله من تبجيل واحترام يمنحه لوكريتيوس لذلك المعلم وللفكر الإبيقوري الذى يتبعه .

تحدث لوكرتيوس عن إبيقوروس في قصيدته في مواضع عديدة خلال كتبه الستة ، فقد دأب التغنى بمميزات إبيقوروس وفضائله في استهلالات كتبه باستثناء الكتابين الثانى والرابع.

والبيت (١٠٤٢) من الكتاب الثالث هو البيت الوحيد الذى يذكر فيه لوكرتيوس اسم إبيقوروس مباشرة في القصيدة كلها .

قسم لوكرتيوس حديثه عن إبيقوروس إلى ثلاث مراحل ، المرحلة الأولى في الكتاب الأول حيث يمثل إبيقوروس "رجل إغريقي" (Graius homo , 66) ، كإنسان يمثل مواطنيه في مهمة الوقوف في مواجهة الآلهة والتغلب على المعتقدات الدينية الخاطئة ، والمرحلة الثانية في استهلال الكتاب الثالث حيث يمثله بمثابة الأب الروحي لهم (tu pateres, 9) ، يقدم تعاليمه برأفة (patria……. praecepta, 9f.) ؛ إذ أن الأب الروماني هو أساس السلطة . وتأتي المرحلة الثالثة بما نطلق عليه "تأليه" إبيقوروس بصيغة التأكيد في استهلال الكتاب الخامس "

كان إلهاً، الهاً بحق " (deus ille fuit, deus, 8) . تمثل كلمة deus ذروة التصعيد في المدح ، الذى بدأ الإنسان (homo) بالاستهلال الأول ، ثم الأب (pater) باستهلال الكتاب الثالث .

مقدمة

من المعروف أن لوكرتيوس كان من أشد المعتنقين للمذهب الإبيقوري، بل إنه أوفى وأصدق من قدم فلسفة إبيقوروس، فقد أخلص فى عرضها عرضًا تامًا.(١) فالمصدر الرئيس الذى يقدم أوضح فكرة وأشملها عن المذهب الإبيقورى هو بلا منازع قصيدة لوكرتيوس " فى طبيعة الأشياء – De Rerum Natura " التى تحمل عنوان مؤلف إبيقوروس نفسه " فى الطبيعة " (Περὶ Φύσεως) وتعتبر المرجع الأساسى لفهم الإبيقورية، لدرجة أن وفاء لوكرتيوس لمعلمه قد جعله أحيانًا ينقل أفكاره حرفيًا رغم أنه قد صاغ هذه الأفكار شعرًا.(٢)

لقد نجح لوكرتيوس فى إنشاء قصيدة تتناول موضوعًا فلسفيًا حول الطبيعة، كما نجح فى أن يكسو مادتها اليونانية ثوبًا رومانيًا، لأنه كان يريد أن ينقل إلى روما فلسفة معلمه دون حذف أو إضافة، وياله من تبجيل واحترام منحه لوكرتيوس لذلك المعلم، وللفكر الإبيقوري الذي يتبعه.(٣)

كان لوكرتيوس أول من جعل من مذهب إبيقوروس موضوعًا لأنشودة شعرية (Carmen) فبهذه القصيدة كان رسول فلسفة العزلة يأمل فى أن يصبح رجلًا جديرًا بالشهرة، وأن يحظى بمكانة عظيمة بين شعراء الأدب اللاتيني، لاسيما وأن هذا العمل

---

(١) أبيقور (٢٠٠٩) الرسائل والحكم، دراسة وترجمة: جلال الدين سعيد، الدار العربية للكتاب، بيروت، لبنان. ص ٧٦.

(2) Gale. M. R., (2008) Oxford Reading in Classical Studies Lucretius. Oxford University Press. New York. P. 69.,

أبيقور (٢٠٠٩) الرسائل والحكم، المرجع السابق . ص ٢٥.

(3)Jacques.L., and Liza.B.,(2016)Lucretius and Modernity Epicuream Encounteros Across Time and Disciplines. New York.pp.90-91.

الفلسفي الشعري يهدف إلى شرح المذهب الإبيقوري للمثقفين الرومان فى قالب شعرى، إذ إن جمال الشعر وسحره يُعد أحد وسائل إقناع بني جلدته في اتباع هذا المذهب الفلسفي. [٤]

كانت هناك صعوبات وجب على الكاتب أن يتغلب عليها فبالإضافة إلى صعوبة المضمون الفلسفي، كانت هناك أيضًا صعوبة أخرى وهي افتقار اللغة اللاتينية للكثير من المفردات والتعبيرات التى تعبر عن الكلمات العلمية التى تدور بمخيلته ولذا كان لابد له من أن يخلق لغة فلسفية شعرية.[٥]

تحدث لوكرتيوس عن إبيقوروس في قصيدته في مواضع عديدة خلال كتبه الستة، فقد دأب التغنى بمميزات إبيقوروس وفضائله في استهلالات كتبه باستثناء الكتابين الثانى والرابع.[٦]

الكتاب الاول

فى الكتاب الأول وبعد الثناء والابتهال إلى الربة فينوس فى حوالى تسعة وأربعين بيتًا(١-٤٩)، ثم مخاطبة صديقه وراعيه الأدبي مميوس[٧] فى حوالي خمسة عشر

([4])Monica. R.G.,(2008) Oxford Reading in Classical Studies Lucretius.Oxford University Press.New York. P.70-71.

([5])Daryn.L., Morrison.A.D., Alison.S.,(2013) Lucretius: Poetry, Philosophy, Science. Oxford University Press.p. 19.

([٦]) هذا باستثناء إشارات صغيرة في الكتاب الرابع تتحدث عن مفهوم اللذة كما وردت عند أبيقور.

([٧]) جايوس مميوس (G.Memmius) النبيل والصديق العزيز للوكرتيوس، والذى يوجه النصائح له من خلال قصيدته، وهو روماني من طبقة الفرسان حقق لنفسه شهرة بسبب بلاغته وموهبته الشعرية، عمل كنقيب للعامة ثم برايتور عام ٥٨ ق.م، وبعد ذلك حاكم على بيثينا (Bithynia) عام ٥٧ ق.م فى أسيا الصغرى وأثناء هذه الولاية اتهم بالرشوة ونفى إلى أثينا على الرغم من أن محاميه الذى تولى الدفاع عنه كان شيشرون ... راجع:

Marsh, J.,(2001) Cassell's Dictionary of Classical Mythology. Cassel and Company. London. . p.266.

بيتًا(٥٠-٦٥) واصفًا فلسفة إبيقوروس بالفلسفة الحقيقية (veram rationem) كما يقول في البيتين التاليين:

quod superest, vacuas auris animumque sagacem
semotum a curis adhibe veram ad rationem,
(Lucr., DRN 1. 50-51)

" أما ما يتبقى فهو أن تعطي أذانًا صاغية وعقلًا واعيًا

خاليًا من الهموم إلى الفلسفة الحقيقية،[٨] "

بعد ذلك يشرع في حديثه عن معلمه إبيقوروس في حوالى أربعة عشر بيتًا:

primum Graius homo mortalis tollere contra
est oculos ausus primusque obsistere contra;
quem neque fama deum nec fulmina nec minitanti
murmure compressit caelum, sed eo magis acrem
inritat animi virtutem, effringere ut arta
naturae primus portarum claustra cupiret.
ergo vivida vis animi pervicit et extra
processit longe flammantia moenia mundi
atque omne immensum peragravit mente animoque,
unde refert nobis victor quid possit oriri,
quid nequeat, finita potestas denique cuique
qua nam sit ratione atque alte terminus haerens.
quare religio pedibus subiecta vicissim
opteritur, nos exaequat victoria caelo.
(Lucr., DRN 1. 66-79)

" فى البداية اجترأ رجل يوناني جسور على أن يرفع

عينيه البشريتين[٩] ضد المعتقدات وكان أول من تصدى لها

وهو الذي لم ترهبه شهرة الآلهة ولا الصواعق

---

(٨) حول نفس المعنى راجع أيضًا : Lucr., DRN .5 .1117.

(٩) يلاحظ فى البيت رقم (٦٦) استخدام لوكرتيوس للشكل القديم لكلمة (mortalis) بمعنى (الفاني) مذكر جمع مفعول به والأصل (mortales) وهي من الصفة (mortalis-e) تصف العينين (oculos) .

ولا أعاقته السماء بتهديدها، ووعيدها بل فجرت فيه بدرجة كبيرة
الشجاعة العظيمة لعقله حيث كان أول من أراد أن يحطم
المزاليج المحكمة لأبواب الطبيعة.
وعلى ذلك فقد سادت قوة عقله المفعمة بالحياة،
وذهب بعيدًا فيما وراء الآفاق المشتعلة للعالم
حيث اخترق (العالم) اللامتناهى كله بفكره وشجاعته،
ومن هناك حمل إلينا النصر وعاد ليخبرنا عن كل ما يمكن
أن يكون له وجود (في العالم) وما لا يمكن أن يكون.
بالاختصار كيف أن لكل شيء قوة محددة بحساب ونهاية محددة بعمق
وهذا يوضح لنا كيف انهزمت المعتقدات بفكره وكيف أصبحت تطأه الأقدام،
لقد جعل (هذا الرجل) بانتصارنا نقف على قدم المساوة مع (آلهة) السماء."

إذا حللنا كلمات لوكرتيوس عن إبيقوروس نجد أنه وصفه بأنه إنسان من البشر الفاني، بيد أنه يتمتع بالجرأة والجسارة فهو أول من تصدى للمعتقدات الدينية البالية، وأول من جَرَأ على تحدي الآلهة، وزاد من شجاعته رغبته في أن يخترق أبواب الطبيعة المغلقة، فهو أول من حطم المزاليج المحكمة لأبواب الطبيعة، ولم يشعر بالرهبة من الآلهة وما يقال عنها ولا من عقابها، فهو إذن لم يخش آلهة السماء، وبالتالي فهو لا يعترف بفضلها، ونتج ذلك من تفجير ثورة في داخله ضد المعتقدات الخرافية والآلهة وأساطيرها، وذلك بفضل قوة ورجاحة عقله وفكره السديد المنطقي، وبهذا يصور إبيقوروس هنا بطلاً من أبطال الملاحم يقف بثبات فى مواجهة خصمه بوقوفه في وجه الخزعبلات الدينية .

استخدم لوكرتيوس هنا مجاز جدير بالذكر فمن ناحية فإنه يشبه إبيقوروس بأنه مثل البطل الأسطوري بروميثيوس فهو الذي أراد أن يحرر البشرية التعسة من شقائها.

ومن ناحية أخرى فإنه يصور معلمه في صورة الفيلسوف الذي يتسلح بقوة الروح (vis animi,72) وهي تعد صورة منقولة من تصوير هوميروس للبطل الملحمي في الإلياذة عند دخوله في مبارزة فردية، فالبطل عند بداية النزال ينظر إلى خصمه ويحدق فيه بعينيه بكل ثبات. وهكذا فإن لوكرتيوس صور إبيقوروس كبطل من أبطال الملاحم، فكان أول من تجاسر على النظر في وجه خصمه وهو الخرافات الدينية ووقف فى مواجهتها (الأبيات ٦٦-٦٧) واجترأ على أن يرفع عينيه البشريتين ضد المعتقدات وكان أول من تصدى لها، ويظهر هذا المجاز النغمة الملحمية والبطولية التي أراد لوكريتيوس أن يضفيها على قصيدته التعليمية. وهذا التحدي من جانب إبيقوروس يمهد به لوكرتيوس للقول في الكتب التالية أن فضل معلمه على البشرية يجعله يستحق أن يصبح معبودًا كإله، حيث إنه قد حرر البشر من الكثير من المعاناة. (١٠)

ويمكن القول إن لوكرتيوس قد شبه هجوم إبيقوروس على المعتقدات الدينية الخاطئة بالصراع الذى دار بين آلهة الأوليمبوس وجيل التياتن، فمثلما طرد جوبيتر ومعه الآلهة الأخرى التياتن بواسطة الصاعقة التي تغلب بها على المردة في الأسطورة، فإن إبيقوروس يطرد المعتقدات الدينية الخاطئة. وعلى هذا النحو قهر المارد إبيقوروس آلهة الأوليمبوس، مثلما قهر كرونوس أورانوس، وقهر زيوس كرونوس. لقد كانت هزائم كل من أورانوس وكرونوس جزاءً عادلًا لظلمهما واستبدادهما، وأقام زيوس حكمه بتوطيد العدالة(١١).

فضلًا عن قوله في البيت (٧٣) إنه قد حلق بفكره بعيدًا إلى ما وراء آفاق العالم، أى حصون السماء المقدسة الممنوع الإقتراب منها أو حتى الحديث عنها، شأنه شأن من

---

(١٠) علي عبد التوب علي ، صلاح رمضان السيد (٢٠٠٦)، الأدب اللاتيني في عصري الجمهورية وصدر الإمبراطورية . قراءة فى الأجناس الأدبية ، القاهرة . ص٣٠٨ .

(11) Duban. J. M., (1979) "Ratio divina mente coorta and the Mythological Undercurrent in the Deification of Epicurus", Prudentia 11. p. 56 .

ذهب ليصارع بطل ضخم يصعب التغلب عليه، ولكن بطلنا إبيقوروس نجح في العودة منتصرًا عليه:

"ومن هناك حمل إلينا النصر وعاد ليخبرنا عن كل ما يمكن
أن يكون له وجود (في العالم) وما لا يمكن أن يكون." (٧٥-٧٦)

ويمكن القول إن لوكرتيوس من خلال المذهب الإبيقوري يدعو البشر إلى التخلي عن الخوف من الآلهة، وأن الآلهة ليس لها سلطان على البشر وأن كل أعمال البشر مقدرة عليهم من الأزل، فيهدف إلى القضاء على الخزعبلات بالقول بأن أمور الكون تسير آلياً وفقًا لقوانين الطبيعة، وبهذا فنحن كبشر متساوين مع الآلهة التي لاحول لهم ولاقوة وتأكيدًا على ذلك قوله في نهاية الفقرة:

"وهذا يوضح لنا كيف انهزمت المعتقدات بفكره وكيف أصبحت تطأها الأقدام
لقد جعل(هذا الرجل) بانتصارنا نقف على قدم المساوة مع (آلهة) السماء."(٧٨-٧٩)

وعلى هذا يجب أن نعيش ونحيا مثل الآلهة، وقد قالها لوكرتيوس صراحة في قوله:

ut nihil inpediat dignam dis degere vitam.
(Lucr., DRN 3. 322)

" ولا يوجد ما يمنعنا من أن نحيا حياة جديرة بالآلهة."

وبما أن لوكرتيوس ينقل حرفيًا من كلمات معلمه فإننا نجد العبارة نفسها عند إبيقوروس:

ζήσῃ δὲ ὡς θεὸς ἐν ἀνθρώποις.
(Ep. ad Men.135,7-8)
" سوف تحيا كإله بين البشر ".

فطبقًا لإبيقوروس فإن الآلهة تتمتع بصفاء تام للعقل، وبذلك فإن من يتمكن من بلوغ هذا الصفاء التام للعقل يمكن مقارنته بالآلهة.

ومما يدلل على كثرة اقتباسات لوكرتيوس من إبيقوروس أقواله السابقة فى البيت (٥١) بوصفه فلسفة إبيقوروس بالفلسفة الحقيقية، وفى البيت (٧٤) الذي يقول فيه إن إبيقوروس اخترق (العالم) اللامتناهي كله، فالعبارتان مأخوذتان كليتًا من خطابات إبيقوروس لهيرودوت:

Ἐπίκουρος Ἡροδότῳ χαίρειν.
Τοῖς μὴ δυναμένοις, ὦ Ἡρόδοτε, ἕκαστα τῶν περὶ φύσεως 35.2
ἀναγεγραμμένων ἡμῖν ἐξακριβοῦν μηδὲ τὰς μείζους τῶν συν-
τεταγμένων βίβλους διαθρεῖν ἐπιτομὴν τῆς ὅλης πραγματείας
εἰς τὸ κατασχεῖν τῶν ὁλοσχερωτάτων δοξῶν τὴν μνήμην ἱκα-35.5
νῶς αὐτοῖς παρεσκεύασα, ἵνα παρ' ἑκάστους τῶν καιρῶν ἐν
τοῖς κυριωτάτοις βοηθεῖν αὐτοῖς δύνωνται, καθ' ὅσον ἂν
ἐφάπτωνται τῆς περὶ φύσεως θεωρίας.
(Epicur., La Lettre d Epicure a Herodote .35.1-8)

" من إبيقوروس إلى هيرودوت، تحية طيبة.

بما أنه يتعذّر على العديد من الأشخاص، ياعزيزي هيرودوت، مطالعة كلّ

ما كتبته عن الطبيعة وفحص مؤلفاتي المستفيضة فحصًا دقيقًا،

فإنني قد ألفتُ هذا الموجز لكامل فلسفتي حتى يحفظوا في ذاكرتهم أفكاري الرئيسة

وحتى يسهل عليهم الرجوع إليها في كل مناسبة وكلما أوقفهم صعوبة

أثناء انشغالهم بدراسة الطبيعة. "

وفي الفقرة الثانية يقول:

..... ἄπειρόν ἐστι τὸ πᾶν
καὶ τῷ μεγέθει τοῦ κενοῦ. εἴ τε γὰρ ἦν τὸ κενὸν ἄπειρον,
(Epicur.,La Lettre d Epicure a Herodote .41-42.)

" الكون لا محدود، وبالفعل المحدود هو الذي يكون له حد.

وبما أن الكون لاحد له فهو بدون نهاية. "

ويقول "بيار" عندما نقارن حياة إبيقوروس مع حياة الآخرين يكمن أن نسميها أسطورة للطافتها، أسطورة يقارنها لوكرتيوس مع أساطير أبطال الخرافات، فإبيقوروس من وجهة نظره هو من أكثر أصحاب الفضل على البشرية. لقد دمج لوكرتيوس حياة

الحكيم إبيقوروس بالآلهة لأن رؤيته المطمئنة لكل شيء توفر حياة هادئة للبشرية حيث إن الآلهة لا توفرها، لاسيما أن الآلهة هي التى دفعتهم إلى الأعمال الشريرة مثل التضحية بإفيجينيا الفتاة الطاهرة، التي تُذبح بيد أبيها كقربان، وهي فى أوج سن للزواج ، كل ذلك لكي يحصل الأسطول على مخرج موفق فهي رمزًا للأعمال الشريرة، لقد استطاعت المعتقدات البالية أن تقنع الناس بارتكاب شرور كثيرة، فضلًا عن أن الآلهة منشغلة باهتماماتها الخاصة وتنعم بالسعادة ولا تشغل نفسها بشئون البشر. (١٢)

يضاف إلى ذلك أن لوكرتيوس أخذ يفسر العالم وحياة البشر من خلال فهمه للأفكار الإبيقورية واهتم بشرح الظواهر الطبيعية اهتماماً بالغًا إذ كان لديه إحساس عميق بأهمية فهم قوانين الطبيعة الغامضة التي دفع البسطاء من البشر إلى نسبها إلى قوى الآلهة، وهكذا لم يكن ليعترف بفضل آلهة السماء وينادي بعدم الخشية منها(١٣).

وإن ما يلفت الانتباه فى المذهب الإبيقوري الذى اتبعه لوكرتيوس هو أن عبادة الآلهة غير ذات جدوى، فهي لا تقدم شيئًا للإنسان، ولكن إذا كان لوكرتيوس وإبيقوروس لا يخشيان الآلهة ولا يطمعان فى شيء منها، وإذا كان الأمر كذلك فما الذي يفسر تعبد إبيقوروس لها واحترامه لكل الطقوس والشعائر الدينية؟ بالنسبة لإبيقوروس فقد أجاب بنفسه على هذا السؤال في إحدى رسائله التى يقول فيها إن التقوى ليست بتقديم القرابين والنذور للآلهة والتقرب منها، وإننى أخشى كل الآلهة

(١٢) بيار بويانسي (١٩٨٠) ابيقورس ، تعريب : بشارة صارجي، سلسلة أعلام الفكر العالمي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان، ط١، ص٨ ، ٥٢.، وراجع أيضًا :
Lucr., DRN .1 .98-101

(13) Duban.J. M.,(1982)"Venus , Epicurus and Naturae Species Ratioque"AJph.103. p.169.

وأجلّها وأريد أن أنفق كل ثروتي لتقديم الأضاحي لها ولكن أفضل المتع وأحسنها هى التمتع بنظرة واضحة للأشياء.(١٤)

ويُقال إن سبب كراهية لوكرتيوس للآلهة أن أمه كانت تأخذه معها وهي تمارس السحر والشعوذة، وكان يراها وهي تحث المرضى البؤساء على استرضاء الآلهة بتقديم النذور النفيسة للآلهة وهذا هو ما جعله يُكن عداءً شديدًا للأساطير والخرافات والآلهة وراح ينبُذ كل فكرة تتعلق بما وراء الطبيعة، وبالطبع السحر فهو جزء منها.(١٥)

ولهذا فقد رفض تمامًا فكرة أن يخضع الإنسان نفسه للآلهة، أو أن يعتمد عليها في قضاء شئونه، ولا ينبغي أن يتوقع منها ثواب أو عقاب، فهي لا يعتريها الغضب، ولا تُسترضى بالقرابين.

الكتاب الثالث

إذا كان لوكرتيوس استهل كتابه الأول بالابتهال والتمجيد والثناء على فينوس ثم الحديث عن راعيه الأدبي قبل أن يتحدث عن معلمه فإنه قد استهل الكتاب الثالث بالمديح والثناء على معلمه إبيقوروس، وفيما يبدو أن هذا له مغزى من وجهة نظر شاعرنا وهو أن يساويه في القدر مع الآلهة:

E tenebris tantis tam clarum extollere lumen
qui primus potuisti inlustrans commoda vitae,
te sequor, o Graiae gentis decus, inque tuis nunc
ficta pedum pono pressis vestigia signis,
non ita certandi cupidus quam propter amorem
quod te imitari aveo; quid enim contendat hirundo
cycnis, aut quid nam tremulis facere artubus haedi
consimile in cursu possint et fortis equi vis?
tu, pater, es rerum inventor, tu patria nobis
suppeditas praecepta, tuisque ex, inclute, chartis,
floriferis ut apes in saltibus omnia libant,

(14)Jacques.L., and Liza.B.,(2016) op.cit .pp.90-91.
(15)Francesco. M., (2012) Lucretius and His Sources. A study of Lucretius, De Rerum Natura.1.Berlin. Boston. P.25.

omnia nos itidem depascimur aurea dicta,
aurea, perpetua semper dignissima vita.
nam simul ac ratio tua coepit vociferari
naturam rerum divina mente coorta 15
diffugiunt animi terrores, moenia mundi
discedunt. totum video per inane geri res.
apparet divum numen sedesque quietae,
(Lucr., DRN3 .1-18)

" يا من كان بمقدوره أن يبدد الظلمات الحالكة بنورٍ بالغ
الإبهار، فأنت أول من أماط اللثام عن نعم الحياة،
إنى أسير فى إثرك، يا فخر اليونان،
وأضع قدمي بقوة في آثار أقدامك.
لا منافسة، بل محبة ومودة
أتوق إلى محاكاتك: إذ كيف للسنونو[١٦](للعصفور) أن ينافس البجعة
فى الغناء؟ وكيف يمكن للجدْي ذي الأطراف المرتجفة
أن ينافس فى العدو قوة بأس الجواد؟
أنت، يا أبتاه، (أنت يا إلهي) المكتشف لطبائع الأشياء.
وأنت أيها المجيد أنت الذي تقدم لنا النصائح الأبوية من صحائفه.
وكالنحل الذي يرتشف الرحيق من البساتين المزهرة،
فإننا بالمثل ننهل من كل أقوالك الذهبية،
إنها ذهبية بحق، وهي جديرة بحياة سرمدية.
فبمجرد أن شرع مذهبك الفلسفي في توضيح طبيعة
الأشياء، تلك الفلسفة التي بزغت من عقلك الإلهي،
تبددت مخاوف العقل، وتلاشت أسوار العالم،
وغدوتُ أرى كل ما يجري فى أرجاء الفضاء الفسيح:

(١٦) السنونو : طائر طويل الجناحين مشقوق الذيل وعذب الصوت.

ظهر أمامي جلال الآلهة ومنازلها الهادئة،" [١٧]

يرى لوكرتيوس أن إبيقوروس هو الذى بدد الظلمات الهائلة (tenebris tantis) بالحياة الجيدة المضيئة (inlustrans commoda vitae) وملئها بنور ساطع منير (clarum…lumen)، وبذلك أخرجهم من ظلام الجهل إلى نور المعرفة وهذا من التشبيهات المألوفة في الفلسفة، [١٨] وقد أكد لوكرتيوس على هذا المعنى من خلال الترتيب العكسى (chiasmus) للأسماء والصفات:

tenebris… tantis
clarum…lumen

ويراه أيضًا بطل البشرية التي ألهمها الرشد، وفي أحيان أخرى يرى فيه إلهًا رسالته هي إنقاذ البشرية. وهذه شهادة من لوكرتيوس يعلن فيها أنه تلميذ إبيقوروس[١٩] كما في البيتين (٣-٤):

" إني أسير في إثرك، يا فخر اليونان،
وأضع قدمي بقوة في آثار أقدامك. "

يتضح أيضًا من البيتين السابقين مدى التقارب الروحي والفكري الشديد بين لوكرتيوس وإبيقوروس من عبارات الاحترام والتقدير (بل والتقديس أيضًا) التي يطلقها لوكرتيوس عندما يأتي ذكر معلمه إبيقوروس.

([١٧]) الترجمة مأخوذة مع بعض التعديل من: لوكريتيوس (٢٠١٨) فى طبيعة الأشياء ، ترجمة: علي عبد التواب علي، صلاح رمضان السيد ، سيدأحمد صادق ، مراجعة وتقديم : عبد المعطي أحمد شعراوي ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط ١، ص٢٤٤-٢٤٥.

([18])Van . N.S., Beginning in the De Rerum Natura .Treasuries of Influence and Intertextuality. University of Leiden .Master Classics and Ancient Civilization. Faculty of Humanities.p.28.

([١٩]) علي عبد التوب علي ، صلاح رمضان السيد (٢٠٠٦)، الأدب اللاتيني في عصري الجمهورية وصدر الإمبراطورية . سبق ذكره . ص٣٠٠ .

إن الكثير من المعتنقين للأفكار الإبيقورية كانوا يطلقون على إبيقوروس لقب المنقذ أو المخلص لإنه خلصهم من الآلام والأوهام، وغالوا في الثناء عليه من أجل هذا الإنقاذ مغالاة شديدة، بل إن أحد هؤلاء المغالين وهو لوكرتيوس قد رفعه إلى مصاف الآلهة بعد موته بنحو مائتي عام، ولذا قال عنه إلهًا ذلك الذي كان أول من أماط اللثام عن نعم الحياة، ذلك الذي بواسطته أنقذنا من عاصفة وأية عاصفة هي، ومن ليل وأى ليل هو لكي يجعل حياتنا هادئة أعظم الهدوء، وأنار للبشر طريقهم فكان يرى أن الناس ظلوا لا يعرفون ما هو نافع لهم إلى أن تمكن إبيقوروس من فتح أعينهم على نعم الحياة . (٢٠)

وبعد أن أطلق لوكرتيوس على إبيقوروس لقب الإله بدء بوضع هالة دينية حوله، فوصفه بالصفات التي توصف بها الآلهة: ففى البيت (١٠) وصفه بالصفة (inclute) أى المجيد (inclutus)، وقد استخدمها من قبل فى وصف الإلهة فينوس (incluta)(٢١) ، كما أن كلمة (charti) تشير إلى الصحف (chartis) التي تُطلق على الكتب المقدسة، وفي البيتين (١١-١٢) يقول:

" وكالنحل الذي يرتشف الرحيق من البساتين المزهرة،

فإننا بالمثل ننهل من كل أقوالك الذهبية، "

هنا شبه لوكرتيوس إبيقوروس بالنحل (وهذا هو المشبه) الذي يحتسي الرحيق من البساتين (وهذا هو المشبه به)، مستخدمًا أداة التشبيه الكاف في قوله كالنحل، والغرض من التشبيه العطاء والمنح فهو الذى يسقي القليل ويهب الناس الكثير،

(20)Van . N. S., op.cit .pp.28-29., Nethercut. J.S., (2017)" "Roots" in Lucretius' De Rerum Natura"A J Ph, vol. 138 , pp. 96-97.

(21)Lucr., DRN .1 .4, Chris .Eckerman., (2019)" Lucretius on the Divine. *DRN* 3.17-30, 5.1161-93, and 6.68-79" Mnemosyne 72 p. 285 ff.

يضاف إلى ذلك أنه يقول إننا بالمثل ننهل من كل أقوالك الذهبية يشبه كل أقواله بالذهبية.[٢٢]

وإذا كان لوكرتيوس قد وصف إبيقوروس في الكتاب الأول في البيت (٧٢) بقوة عقلة المفعمة بالحياة (ergo vivida vis animi) فإنه في الكتاب الثالث في البيت (١٥) يصفه بالعقل الإلهى (divina mente).

يقول علي عبد التواب إن هذا البيت يحتوي على محاكاة ساخرة للموروث الأسطوري الذي يقول إن ربة الحكمة أثينا قد وُلدت من عقل كبير الآلهة الإغريقية زيوس، وقد صوب (Orelli) اسم المفعول (coortam) وجعله (coorta) ليصف فلسفة إبيقوروس أى كلمة (ratio) .[٢٣]

إن قول لوكرتيوس في البيت (١٦) تبددت مخاوف العقل، وتلاشت أسوار العالم، المقصود منها المخاوف التي تبددت: الخوف من الآلهة، والخوف من العقاب بعد الموت، والحق أن الخوف من الموت لم يكن خوفًا من الموت بذاته بقدر ماكان خوفًا من المصير الذي ينتظر البشر بعد الموت، وهنا تلعب الخرافات دورها فترعبنا من العذابات والعقوبات في العالم الآخر. إن علم الطبيعة يلج إلى طبيعة الروح ويبرهن أنها قابلة للموت أو الفناء وبالتالي لا حياة بعد الموت فلا يوجد جحيم أو عقوبات.

---

(٢٢) التشبيه: معناه التمثيل يقال شبه يشبه تشبيهاً ، وهو إلحاق أمر بأمر آخر في وصف (أو معنى مشترك بينهما) بأداة لغرض، والملحق هو المشبه والملحق به هو المشبه به. " فإلحاق أمر" هو المشبه، "بأمر آخر" هو المشبه به، " في وصف" وهو وجه الشبه " الغرض " وهو الغرض من التشبيه أي مايقصده المشبه بهذا التشبيه مثل المدح أو الذم أو التحسين أو التقبيح...راجع بحثا بعنوان: "الحيل والصور البلاغية فى نماذج من قصائد كاتولّوس" للباحث منشور في مجلة أوراق كلاسيكية العدد الخامس عشر، ديسمبر ٢٠١٨ ، ص ٧٧٦ . ص٧٧١ -٨٢١ .

(٢٣) لوكريتيوس (٢٠١٨) في طبيعة الأشياء، سبق ذكره ، ص٢٤٥ .

فالموت لا يمثل شيئًا لنا على حد قول إبيقوروس ولوكرتيوس الذي ترجم العبارة ترجمة حرفية:

Ὁ θάνατος οὐδὲν πρὸς ἡμᾶς· τὸ γὰρ διαλυθὲν
ἀναισθητεῖ, τὸ δ' ἀναισθητοῦν οὐδὲν πρὸς ἡμᾶς.
(Epic., Sent. 2,1-2)

" إن الموت لا يمثل شيئاً لنا، لأنه يفقد القدرة

على الإحساس، والشيء الفاقد للإحساس هو لا يمثل شيئاً لنا" (٢٤)

Nil igitur mors est ad nos neque pertinet hilum,
quandoquidem natura animi mortalis habetur.
(Lucr., DRN 3. 830-831)

" وعلى ذلك فإن الموت لا يمثل شيئًا لنا، ولا يقلقنا على الإطلاق،

حيث إن من المعروف عن مادة الروح أنها فانية؛ "

فإذا كان إبيقوروس قد أوضح أنه يجب على الإنسان عدم الخوف من الموت فنجد عند لوكرتيوس تحليلًا نفسيًا، يعود بالطبع إلى معلمه وأستاذه، إذ ينسب الخوف من الموت لبعض الشهوات شديدة الخطورة كالطمع في جمع الثروات والطموح المدمر، ويرى لوكرتيوس أن الشرور التى أصابت المجتمع الفاسد سببها الاعتقاد فى الخرافات والخوف من الآلهة والذي بسببه يشعر الناس التعساء أنهم غير قادرين على النضال من أجل صالحم العام. فكان هدفه أن يخلص النفس البشرية مما يحيط بها من مخاوف مما وراء الطبيعة وهي ثلاث: الخوف من الآلهة والخوف من الموت والخوف من الجحيم أي ما بعد الموت، ولهذا يجب على الإنسان بعد أن يتحرر من الخوف

(٢٤) راجع نفس النص Ep.ad Men.124,125.

من الموت أن يعيش سعيدًا بقدر ما تطيق حياته القصيرة على الأرض فهو يسعى مثل معلمه إلى معالجة النفس من الأمراض الناجمة عن الخوف الذى لا مبرر له.[٢٥]

في البيت (١٨) يؤكد أنه أمام إبيقوروس تبدو مخاوف العقل وقد تبددت، وهو الذي أطلع على الطبيعة الإلهية (apparet diuum numen) فعرف أنها تعيش فى دعة حياة تتسم بالهدوء الذي لا يعرف العواصف، وفى نشوة تخالطها رهبة يدرك لوكرتيوس قيمة هذا النصر على الطبيعة وأهمية كشفها [٢٦] فيقول :

his ibi me rebus quaedam divina voluptas
percipit atque horror, quod sic natura tua vi
tam manifesta patens ex omni parte retecta est.
(Lucr., DRN3 .28-30)

" وبناءً على كل ماسبق فإن سعادة إلهية ما
ورهبة تتملكانى، لأن الطبيعة بقدرتك صارت واضحة
تمامًا، وكُشف النقاب (retecta est) عن كل جزء من أجزائها " [٢٧]

جدير بالذكر أن لوكرتيوس أنهى مقدمة الكتاب الثالث بالعودة إلى الحديث عن دور إبيقوروس فى تبديد ظلمات الجهل وكشفه لأسرار الطبيعة، وقد اعتاد لوكرتيوس اتباع البناء الدائري لكل فقرة من فقراته.

وبما أن الطبيعة هي الخالقة للأشياء (rerum natura creatrix,)، [٢٨] وأيضًا هي التي تدبر الأشياء (gubernans)، وهي التي تجادل الإنسان فى خشيته من الموت

([٢٥])Barrow.R.H ., (1960) The Romans . London .p.153., Dudley.D.R ., (1960) Civilization of Rome . London .p.190.

([٢٦]) دف.ج.و، (١٩٦٤) تاريخ الأدب الرومانى ، ترجمة: محمد سليم سالم، راجعه : محمد صقر خفاجة ، مركز كتب الشرق الأوسط .ج٢. ص٢٢

([٢٧]) لوكريتيوس (٢٠١٨) فى طبيعة الأشياء، سبق ذكره ، ص٢٢٦.

([28])Lucr., DRN .1 .976.

قائلة له: أن يرحل عن الحياة، إن كان حظه حسنًا، كضيف قانع وراضٍ بعد أن ولم من وليمتها؛ وإن لم يكن حظه حسنًا، فلا ينتظر منها شيئاً أفضل. [٢٩]

فلماذا الخوف من الموت؟ ويضرب لوكرتيوس العديد من الأمثلة للشخصيات المهمة التى ذاقت الموت أمثال الكثير من الملوك وولاة الأمور الذين حكموا شعوباً عظيمة وذاقوا الموت[٣٠]، ويذكر في النهاية ديموكريتوس الذي بعد أن بلغ من العمر أرزله وبدأت قدرته على التذكر تخور، قدم نفسه إلى الموت طواعية،[٣١] وقد استلهم هذا من إبيقوروس من خلال عبارتين يقول في الأولى:

126.1 . ὁ δὲ σοφὸς οὔτε παραιτεῖται τὸ
ζῆν οὔτε φοβεῖται τὸ μὴ ζῆν·
(Ep.ad Men.126,2-3.)

" إن الحكيم هو الذى لايزدرى الحياة ولايخشى الموت"

ويقول في الثانية:

Ὁ δὲ παραγγέλλων τὸν μὲν νέον καλῶς ζῆν, τὸν δὲ γέροντα

([29])Lucr., DRN .3 .938.

([30])Lucr., DRN .3 .1027-1028.

([٣١]) ديموكريتوس (٤٦٠-٣٧٠ ق.م.) هو فيلسوف إغريقى وُلد فى مدينة أبديرا بتراقيا، وهو تلميذ ليوكيبوس مؤسس النظرية الذرية للكون. اشتهر بطول العمر فطبقاً لديودوروس الصقلي فإنه قد مات وقد ناهز من العمر التسعين، ولكن مصادر أخرى تذكر أنه قد تخطى المائة عام ، واستخدم لوكريتيوس فى وصف ضعف ذاكرة ديموكريتوس بعد أن طعن فى السن لغة الفلاسفة الذريين " حركة الذاكرة " (memores motus) ويقصد بها قدرات التذكر، وهذه اللغة تلائم بالطبع شخصية ديموكريتوس كفيلسوف ذرى. يعد لوكريتيوس أقدم --= مصدر ذكر أن ديموكريتوس قد أقبل على الانتحار. ويجدر بالذكر أن التعبير " قدم رأسه " (caput…..obtulit) فيه تجسيد للموت إذ جعله مثل الجلاد الذى يقطع رؤوس المحكوم عليهم بالموت ...راجع Lucr., DRN .3 .1039-1041.

وكذلك راجع : لوكريتيوس (٢٠١٨) فى طبيعة الأشياء، سبق ذكره . ص٣١١-٣١٢ .

καλῶς καταστρέφειν,
(Ep.ad Men.126,6-7.)

" يجب التصريح بأنه على الشاب أن ينعم بالحياة وعلى الشيخ أن يتقبل الموت بصدر رحب"

وفي النهاية يتحدث عن موت إبيقوروس نفسه فيقول:

ipse Epicurus obit decurso lumine vitae,
qui genus humanum ingenio superavit et omnis
restinxit stellas exortus ut aetherius sol.
(Lucr., DRN3 .1042-1044)

" وإبيقوروس نفسه قد مات بعد أن انتهت دورة نور حياته،
هو من فاق الجنس البشرى فى العبقرية، وحجب
الجميع مثلما تحجب شمس السماء عند إشراقها النجوم." [٣٢]

سبق وأن ذكرنا أن لوكرتيوس تحدث عن إبيقوروس في الكتاب الأول في البيت (٦٦) وقال وُجد فى البداية رجل يوناني جسور، وفي الكتاب الثالث مدحه وقال عنه في البيت الأول يا من كان بمقدوره أن يبدد الظلمات الحالكة بنور بالغ الإبهار، وفي البيتين (٩-١٠) قال:

أنت، يا أبتاه، (أنت إلهي) المكتشف لطبائع الأشياء.
وأنت أيها المجيد أنت الذي تقدم لنا النصائح الأبوية من صحائفه."

أي لم يذكر اسمه صراحة، وعلى هذا يعتبر البيت (١٠٤٢) من الكتاب الثالث هو البيت الوحيد الذي يذكر فيه لوكرتيوس اسم إبيقوروس مباشرة في القصيدة كلها، والثلاثة أبيات بهم تشبيهين بليغين الأول تشبيهه لوكرتيوس لحياة إبيقوروس بالنور وبعبقريته حجب النور مثلما تحجب شمس السماء عند إشراقها النجوم فشبه رحلة حياة معلمه برحلة الشمس اليومية من الشروق إلى الغروب، وهذا هو التشبيه الثاني، أي

([٣٢]) لوكريتيوس (٢٠١٨) فى طبيعة الأشياء، سبق ذكره ، ص٣١٢.

بنور علمه أخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة، فالغرض من التشبيه العلم والنور أو المعرفة والبيان والوضوح، وتشبيه ممدوحه بالشمس مبالغة منه في إبراز علو همته وجلال قدره. وقولنا تشبيه بليغ لأن التشبيه البليغ هو ما حذف منه وجه الشبة والأداة معًا.

الكتاب الخامس

يبدأ لوكرتيوس كتابه الخامس مثلما بدأ كتابه الثالث عن إبيقوروس، ولكن سأل مستخدمًا أداة الإستفهام مَنْ (Quis)، وفي نفس الوقت مادحًا إبيقوروس وساردًا نعمه التى لاتُعد ولا تُحصى على البشرية، وعلى حسب مفهومه فإنه لم يولد أحد مثله من بني البشر الفاني، وعلى هذا يقول:

Quis potis est dignum pollenti pectore carmen
condere pro rerum maiestate hisque repertis?
quisve valet verbis tantum, qui fingere laudes
pro meritis eius possit, qui talia nobis
pectore parta suo quaesitaque praemia liquit?
nemo, ut opinor, erit mortali corpore cretus.
nam si, ut ipsa petit maiestas cognita rerum,
dicendum est, deus ille fuit, deus, inclyte Memmi,
qui princeps vitae rationem invenit eam quae
nunc appellatur sapientia, quique per artem
fluctibus et tantis vitam tantisque tenebris
in tam tranquillo et tam clara luce locavit.
confer enim divina aliorum antiqua reperta.
namque Ceres fertur fruges Liberque liquoris
vitigeni laticem mortalibus instituisse;
cum tamen his posset sine rebus vita manere,
ut fama est aliquas etiam nunc vivere gentis.
at bene non poterat sine puro pectore vivi;
quo magis hic merito nobis deus esse videtur,
ex quo nunc etiam per magnas didita gentis
dulcia permulcent animos solacia vitae.
Herculis antistare autem si facta putabis,
longius a vera multo ratione ferere.
(Lucr., DRN5 .1-23)

" مَنْ باستطاعته أن ينظم بقلب جسور أنشودة شعرية قيمة
عن عظمة الطبيعة وعن تلك الاكتشافات؟
أو مَنْ يملك ناصية الحديث لحد يستطيع معه أن
يصوغ مدائح فى خصال (إبيقوروس) الذى ترك
لنا مثل هذه الكنوز التى أبدعها وقدح فيها زناد فكره ؟
وحسب اعتقادى فإنه لن يولد أحد مثله من نسل بشر فانٍ.
فإنه كان علينا أن نقول، مثلما تسعى الطبيعة ذاتها، التي
أضحت معروفة ، أن تقول : لقد كان إلهاً، إلهاً بحق،
أي مميوس ياذائع الصيت (النبيل).
فهو أول من اكتشف ذلك المنطق بالحياة، المنطق الذي يُطلق
عليه الآن اسم الحكمة، وهو الذي ببراعته
أخرج الحياة من الأمواج المتلاطمة والظلمات الحالكة
وأقامها فى مثل هذا السكون ومثل هذا النور الباهر.
حسبك أن تقارن الاكتشافات الإلهية القديمة للآخرين.
لأنه يُقال إن كيريس أدخلت زراعة القمح فى عالم البشر،
وإن ليبر قدم لهم الخمر (عصير النبيذ).
على أية حال فإن الحياة يمكنها الاستمرار بدون تلك الأشياء،
ويُحكى أن بعض الشعوب تحيا إلى الآن بدونها.
ولكن من المستحيل العيش حياة هانئة بدون عقلٍ صافٍ؛
بتلك الميزة بدا هذا الرجل لنا بأنه إله،
فالمواساة الرقيقة للحياة التي صدرت عنه هي سلوى
لنفوسنا حتى ذلك الحين، إذ إنها انتشرت بين أمم عظيمة.
لكن إن تعتقد أن أعمال هرقل تفوق إنجازات (إبيقوروس)،

فإنك ستشرد بعيدًا جدًا عن التفكير السديد." [٣٣]

يبلغ مديح لوكرتيوس لإبيقوروس مبلغًا عاليًا جدًا إذ بعدما كان يُعده فى مرتبة الآلهة يصل به إلى ذروة التأليه وذلك بقوله في البيت (٨) لقد كان إلهًا، إلهًا بحق، أي مميوس النبيل.

وإذا تساءلنا بما أن لوكرتيوس لم يذكر اسم إبيقوروس صراحة إلا في البيت (١٠٤٢) من الكتاب الثالث وهو البيت الوحيد الذي يذكر فيه لوكرتيوس اسم إبيقوروس مباشرة في القصيدة كلها . فلماذا لم يذكره مرة أخرى على الرغم من أنه ذكر اسم صديقه مميوس أكثر من مرة؟ وهو الوحيد الذي ذكره لوكريتيوس من بين معاصريه وقد أهدى إليه قصيدته.

يبدو أن قوله " لقد كان إلهًا، إلهًا بحق " ولم يقل " لقد كان إبيقوروس إلهًا بحق " يعطي دلالة على اعترافه به كإله دون غيره من الآلهة المعروفة، وعدم ذكر اسم إبيقوروس خوفًا من اتهامه بالإلحاد والكفر، والدليل على ذلك دائماً ما يقول (رجلًا، وأفضل من أنُجب من الجنس البشري ...الخ) أي ليقال أنه يتحدث عن شخص ما، ولكي لا يكون حُجة علية بتهمة الإلحاد.[٣٤]

ثم بعد ذلك يعود للتشبيه وقد سبق وأن قال لوكرتيوس عن إبيقوروس في بداية الكتاب الثالث بأنه بدد الظلمات الحالكة بنور بالغ الإبهار، وأول من أماط اللثام عن نعم الحياة، وفي نهاية الكتاب نفسه قال عنه هو من فاق الجنس البشري فى العبقرية، وحجب الجميع مثلما تحجب شمس السماء عند إشراقها النجوم، وفي الكتاب الخامس، وفي البيتين (١١-١٢) يشيد إشادة كافية بإبيقوروس مؤسس النظام الذي أخرج من الظلمات إلى النور بقوله:

---

(٣٣) لوكريتيوس (٢٠١٨) فى طبيعة الأشياء، سبق ذكره ، ص٤٠٦- ٤٠٧.

(34) Gale. M.R., (1994) Myth and Poetry in Lucretius. Cambridge. P.65., Van . N.S., op.cit .pp.29-30.

" أخرج الحياة من الأمواج المتلاطمة والظلمات الحالكة
وأقامها فى مثل هذا السكون ومثل هذا النور الباهر."

أي برجاحة عقله الزاهرة وأفكاره الصائبة وفطنته وذكاءه الحاد وبنور علمه أخرج الناس بل والحياة من الظلمات الحالكة أى الجهل إلى النور الساطع الباهر ألا وهو نور المعرفة، فالغرض من التشبيه العلم والنور أو المعرفة والبيان والوضوح، وتشبيهه ممدوحه بالنور الساطع مبالغة منه في إبراز رجاحة عقله وفكره وجلال قدره. وهذا التشبيه قريب أو نفس التشبيه الذي كان قد شبهه به في نهاية الكتاب الثالث.

بعد ذلك يبدأ لوكرتيوس في البيتين (١٤-١٥) في عقد مقارنة بين أعمال إبيقوروس وأفضاله على البشرية وبين أعمال وأفضال بعض الآلهة، ويُظهر قليل من عدم المصداقية في نظرته إلى الأساطير إذ إن نظرته إليها نظرة انتقادية مطلقة،[٣٥] لا سيما وأنه يستخدم الفعل (fertur) بمعنى يُقال عند الحديث عن الآلهة لأنه يشكك فى كل الأساطير التي تتحدث عن إنجازاتها.[٣٦] ومن الملاحظ أنه فضل أن يقول إنسان ما ليقول نبتونوس[٣٧]بدلًا من البحر، وكيريس [٣٨] بدلًا من ثمار الأرض، وليبر[٣٩] بدلًا من الخمر وللدلالة على عصير العنب الذى يُصنع منه الخمر، وأن كل هذا جائز على شريطة ألا يدع " الخزعبلات القذرة " تدنس نفسه.[٤٠] وقد قال

([35]) Hardie. P., (2009)Lucretian Receptions, Cambridge.p.136.

([٣٦]) لوكريتيوس (٢٠١٨) فى طبيعة الأشياء، سبق ذكره ، ص٤٠٦ .

([٣٧]) نبتونوس : إله البحار والمحيطات عند الرومان (بوسيدون عند الإغريق).

([٣٨]) كيريس : ربة الزراعة عند الرومان (ديميتر عند الإغريق).

([٣٩]) ليبر : إله النماء والزراعة عند الرومان (باخوس إله الخمر عند الإغريق) ، وربما يكون هذا اللقب مشتقاً من الصفة liber بمعنى " الحر" ، وذلك لاعتقادهم أن الخمر تحرر المرء من كل همومه وأحزانه وقيوده .

([٤٠]) دف.ج.و ، (١٩٦٤) تاريخ الأدب الرومانى، سبق ذكره . ص ٣٥.

لوكرتيوس من قبل في الكتاب الثانى أن ماء نبتونوس شديد الملوحة[٤١] إشارة إلى مياه البحار والمحيطات وليس إلى شخص الإله، وفي إشارة أخرى يقول أن هناك شخصًا ما يُسمى البحر نبتونوس، والغلال كيريس.[٤٢]

وعلى الرغم من كل ماقدمته الآلهة السابق ذكرها من منافع للبشرية، ولكنه يمكن الاستغناء عن تلك الهبات التي قدمتها للبشر، ويمكن العيش بدونها على حد قوله في البيت (١٦) الذي يقول فيه: على أية حال فإن الحياة يمكنها الاستمرار بدون تلك الأشياء.

ويرى الباحث أنه بما أن لوكرتيوس لم يُطلق عليهم لقب آلهة، ويسميهم مباشرة بأسمائهم، وليس هذا فحسب بل يمكن الاستغناء عما قدموه للبشرية من منافع، فهذا يعطي دلالة على أنه غير معترف بهم كآلهة، ويعترف فقط بمعلمه إبيقورس لاسيما أنه قال عنه في البيت (٨) لقد كان إلهًا، إلهًا بحق، ويكرر قوله عنه في البيت (١٩) بتلك الميزة بدا هذا الرجل لنا بأنه إله، فقوله هنا إلهًا للمرة الثانية للتأكيد.

بعد ذلك يسرد لنا لوكرتيوس واحد وعشرون بيتًا (٢٤-٤٤) عن البطل الأسطورى هرقل، وكان لزامًا علينا أن نذكرها لأنه يتحدث فيها عن بعض الأعمال الخارقة الاثنى عشر والتي قام بها هرقل[٤٣] والتي من خلالها يعقد مقارنة بينها وبين ما قدمه إبيقوروس للبشرية وهي:

---

(41)cf. Lucr., DRN .2 .472.

(42)cf. Lucr., DRN .2 .652-653., Van . N.S.,op.cit .p.25, 33.

(٤٣) كان الملك يوريستيوس قد أمر البطل هرقل بأداء أعمال عُرفت فيما بعد بالأعمال الخارقة الاثنى عشر وهي:

الأمر الأول: هو احضار جلد أسد مدينة نيميا الذى كان يثير الذعر بين الناس، وبالفعل يرحل هرقل ويعود حاملاً الأسد على كتفيه، والأمر الثانى: قتل أفعوان مستنقع ليرنا وهو أفعوان البحرى مسمى "هيدرا"، والأمر الثالث: إحضار أيلة كرونيا حية دون جرح، وكانت الأيلة (الأيلات) مخلوقا غريبًا سريعًا له حوافز من البرونز تشبه حوافر الأيلة، وكان على هرقل أن

quid Nemeaeus enim nobis nunc magnus hiatus
ille leonis obesset et horrens Arcadius sus,
denique quid Cretae taurus Lernaeaque pestis
hydra venenatis posset vallata colubris?
quidve tripectora tergemini vis Geryonai
et Diomedis equi spirantes naribus ignem
tanto opere officerent nobis Stymphala colentes?
Thracia Bistoniasque plagas atque Ismara propter
aureaque Hesperidum servans fulgentia mala,
asper, acerba tuens, immani corpore serpens
arboris amplexus stirpes? quid denique obesset

يقتص تلك الأيلة، ولم يكن مسموحًا له أن يقتلها، أو حتى يصيبها بجرح. والأمر الرابع: إحضار خنزير أرومانثوس دون جرح، وكان خنزير أرومانثوس خنزيرًا بريًا كاسرًا متوحشًا بشعًا ينشر الرعب والفزع فوق مرتفعات جبل أرومانثوس. والأمر الخامس: أن ينظف حظائر أوجياس ، الذى يمتلك المئات من الثيران وروثها برائحته المقززة منتشرة فى جميع أنحاء شبه جزيرة البلوبونيس ، ولايستطيع أحد تنظيف هذه الحظائر، والأمر السادس: أن يطرد طيور مستنقع ستيمفالوس من مكانها، وهى مجموعة من الطيور التى لاحصر لها مناقيرها ومخالبها وأجنحتها من البرونز، وغذاؤها من لحوم الحيوانات والبشر. والأمر السابع: الإمساك بثور كريت، وهو ثور هائج جبار يزفر ألسنة اللهب الحارق يصول ويجول في أنحاء الجزيرة، يهاجم الحدائق والبساتين فيدمر الأسوار ويقتلع الأشجار. والأمر الثامن: وأن يروض خيول ديوميديس، والتي كان ديوميديس = يعقلها بسلاسل من الحديد يقدم لها الطعام في مزاود من البرونز، ويطعمها لحوم البشر. والأمر التاسع: أن يحضر حزام هيبولوتى ملكة الأمازونيات ، والذى منحه إليها الإله آريس، وكان الأمازنيون أبناء وبنات لإله الحرب آريس. والأمر العاشر: أن يحضر له قطيع جيريون دون أن يستأذن صاحبه أو يدفع له ثمنًا، وكان هذا القطيع أحمر اللون متثاقل الحركة جميل المنظر ، ولكن جيريون كان ملكًا على تارتسوس الواقعة في أسبانيا، وكان مسخًا ضاريًا له ثلاث رؤوس وست أذرع وثلاثة أجساد تتفرع عند الوسط. والأمر الحادى عشر: أن يحضر تفاحات الهسبيريديات وهي تفاحات ذهبية نادرة كانت الربة الأرض أهدتها إلى الربة هيرا بمناسبة زواجها شجرة تفاح تثمر ثمرات ذهبية. والأمر الثانى عشر والأخير: أن يحضر الكلب كربيروس من عالم الموتى تارتاروس، وقد نجح البطل هرقل في إنجازها كلها، وعن أعمال هرقل كلها بالتفصيل... راجع:

عبدالمعطى شعراوى (١٩٨٢)، أساطير إغريقية ، أساطير البشر، الجزء الأول. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة. ص٣٨٧-٤١٠.، وكذلك راجع:

Bolton. L., (2002) Classical Mythology Book. Greek and Roman Gods' Goddesses. Heroes and Villains from Ares to Zeus. U.S.A.pp.168-169.

propter Atlanteum litus pelagique severa,
quo neque noster adit quisquam nec barbarus audet?
cetera de genere hoc quae sunt portenta perempta,
si non victa forent, quid tandem viva nocerent?
nil, ut opinor: ita ad satiatem terra ferarum
nunc etiam scatit et trepido terrore repleta est
per nemora ac montes magnos silvasque profundas;
quae loca vitandi plerumque est nostra potestas.
at nisi purgatumst pectus, quae proelia nobis
atque pericula tumst ingratis insinuandum!
(Lucr., DRN5 .24-44)

" ما الضرر الذي يلحقه بنا الآن ذلك الفم الكبير

لأسد نيميا، أو خنزير أركاديا المرعب؟

وأخيرًا ماذا بمقدور ثور كريت أن يفعل لنا، وطاعون

ليرنا أي الأُفعوان المحصن بثعابين سامة؟

أم ماذا تفعل لنا قوة الأبدان الثلاثة لجيريون ذي الأبدان الثلاثة؟

وأي ضرر بالغ تلحقه بنا الطيور التي تحمي بحيرة ستيمفالوس؟

وبماذا تضرنا جياد ديوميديس الثراقي التي تنفث نارًا من

مناخيرها بالقرب من المناطق الثراقية وجبل إسمارا؟

والأفعى الرهيبة، حادة النظرات، ذات الجسد الهائل،

التى تحمي التفاحات الذهبية البراقة للهسبيريديات،

وقد التفت حول جذع الشجرة؛ وأخيرًا أي ضرر يقع علينا

من ساحل أطلانطا وبحاره الرهيبة، الذي لم يذهب

إليه أحد من بني جلدتنا قط، ولم يجرؤ على ذلك أي أجنبي؟

إن باقي الوحوش من هذا القبيل قد هلكت،

فإن لم تكن قد هلكت، فما الضرر الذي تلحقه بنا أثناء حياتها؟

لا شيء حسب اعتقادي: فالأرض إلى يومنا هذا تنتج، على هذا النحو،

قدرًا كافيًا من الوحوش، وهي تموج برعب ينذر بالخطر،
وذلك في الأحراش والجبال الهائلة والأدغال العميقة،
وهي الأماكن التي، بوجه عام، يمكن تجنبها.
لكن إذا لم نطهر صدورنا، فعندئذٍ لابد وأن نقع
فى معارك وأخطار دون إرادتنا! "[٤٤]

يلاحظ من الأبيات السابقة أن لوكرتيوس يقصد أن يقول إنه مهما بلغت شدة خطورة هذه الحيوانات المفترسة فهي لا تضرنا حتى وإن لم تكن قد هلكت كما أوضح في البيتين (٣٨-٣٩):

" فإن لم تكن قد هلكت، فما الضرر الذي تلحقه بنا أثناء حياتها؟ لا شيء حسب اعتقادي. فضلًا عن أن الأماكن التى بها مثل هذه الحيوانات في الغالب لم يذهب إليها الناس. "

لقد ربط لوكرتيوس بين هرقل وإبيقوروس من الناحية الأسطورية فهرقل بطل أسطوري قوي وشجاع ومغامر ونقي السريرة ينصر المظلوم ويُقهر الظالم، ويقف في وجه الطغاة، ويتحالف مع المدافعين عن وطنهم وكرامتهم تحول بعد ما لاقاه من متاعب من بشر فانٍ إلى إله خالد، [٤٥] ومن وجهة نظر لوكرتيوس فإن الصفات نفسها تنطبق على إبيقوروس، بل إن فضل معلمه على البشرية أعظم من فضل هرقل، وبهذا المنطق فإنه أحق بعد ما لاقاه من متاعب في قدح زناد فكره لخدمة البشرية بالتحول من بشر فانٍ إلى إله خالد، فلوكرتيوس هنا يقدم محاكاة للغة كتاب الأساطير، وأيضًا محاكاة ساخرة للموروث الأسطوري ويُبين أن الأعمال الأسطورية الضخمة الهائلة والخارقة الاثنى عشر والتي قام بها هرقل وأنجزها على أكمل وجه

(٤٤) لوكريتيوس (٢٠١٨) فى طبيعة الأشياء ، سبق ذكره ، ص٤٠٧ -٤٠٩ .
(٤٥) عبدالمعطي شعراوي (١٩٨٢) أساطير إغريقية ، سبق ذكره . ص ٤١٧ .

والمعروفة لدى الكثيرين أقل وطأة وشأنًا مما قدمه إبيقوروس، فهو أول من أنجز العمل الفلسفي على أكمل وجه ليُنر العقول البشرية وليخرجهم من حيز الجهل إلى طريق النور والمعرفة [٤٦]. بل ويُضيف إذا لم نطهر صدورنا، فعندئذٍ لابد وأن نقع فى معارك وأخطار دون إرادتنا، كما في نهاية الأبيات وبالتحديد في البيتين (٤٣-٤٤).

كان إبيقوروس يرفض أن يكون الفيلسوف شاعرًا، ويرفض أيضًا الشعر والأسطورة، ولكن لوكرتيوس يرى أن الأسطورة بها من عناصر الجذب التي تشد انتباه القارئ إليها، ولهذا فضل أن يصوغ قصيدته الشعرية مزينة بالأسطورة وقد نجح في ذلك. [٤٧] إذ إن الأسطورة بالنسبة له كإبيقورى تمثل النقيض للفلسفة الحق (vera ratio)، وهي غير ذات جدوى في تفسير الظواهر الطبيعية وذلك لأنها تنسب كل شئ إلى قوى الآلهة. ولم يمنع ذلك لوكرتيوس من الاستعانة بها، حيث يرى أن ما بها من مجاز ومن قوة جذب للقراء يعينه على عرض التعاليم الابيقورية، كما أن عرض الأسطورة جنبًا إلى جنب الفلسفة الحقيقية يدفع القارئ إلى التبرأ من ربط الآلهة بتفسير الظواهر الكونية. علاوة على هذا أن لوكرتيوس قد دأب على استخدام الأسماء الأسطورية لتزيين القصيدة، فكما رأينا من قبل أنه كان يشير إلى البحر بكلمة نبتونوس، ويشير إلى الخمر بكلمة باكوس.[٤٨]

وإذا كان هرقل قد تم تأليهه نظرًا لما قام به فكذلك يكون من المناسب تأليه ذلك المعلم العظيم إبيقوروس، وجدير أن يوضع في عداد الآلهة:

haec igitur qui cuncta subegerit ex animoque
expulerit dictis, non armis, nonne decebit

([46])Van . N.S., op.cit .p. 33., Asmis, E., (1984) Epicurus' Scientific Method. Ithaca and London.p.44., Clay. D., (1983) Lucretius and Epicurus. London.p.63.

([47])Colman.J., (2006) Science and Poetry.A study of Lucretius, on the Nature of Things. Boston College.P.54.

([٤٨]) علي عبد التوب علي، صلاح رمضان السيد (٢٠٠٦) ، الأدب اللاتينى فى عصرى الجمهورية وصدر الإمبراطورية . سبق ذكره . ص٣١٠ .

hunc hominem numero divom dignarier esse?
cum bene praesertim multa ac divinitus ipsis
iam mortalibus e divis dare dicta suerit
atque omnem rerum naturam pandere dictis.
Cuius ego ingressus vestigia dum rationes
persequor ac doceo dictis, quo quaeque creata
foedere sint, in eo quam sit durare necessum
nec validas valeant aevi rescindere leges,
quo genere in primis animi natura reperta est
nativo primum consistere corpore creta,
nec posse incolumem magnum durare per aevum,
sed simulacra solere in somnis fallere mentem,
cernere cum videamur eum quem vita reliquit,
quod super est, nunc huc rationis detulit ordo,
ut mihi mortali consistere corpore mundum
nativomque simul ratio reddunda sit esse;
et quibus ille modis congressus materiai
fundarit terram caelum mare sidera solem
lunaique globum; tum quae tellure animantes
extiterint, et quae nullo sint tempore natae;
(Lucr., DRN5 .49-70)

" وعلى ذلك فإن (إبيقوروس) هو الذى قهر كل تلك الأشياء وطردها
من العقول بأقواله، وليس بالسلاح، ألن يكون من المناسب
أن نعتقد أن هذا الرجل جدير بأن يوضع في عداد الآلهة؟
خاصة حيث إنه اعتاد أن يلقن، على غرار الآلهة تمامًا،
الكثير من تعاليمه عن الآلهة الخالدة ذاتها،
وأن يكشف فى أقواله كل شيء عن طبيعة الأشياء.
إننى أسير على أثره وأتبع أفكاره،
وأدرس في أحاديثي: بأي ناموس خُلقت
تلك الموجودات، وكيف أنه من الملزم لها البقاء فيه،
وكيف أنها ليست من القوة بحيث تلغي نواميس الزمن القوية،

وعلى هذا الأساس فإنه من بين الموجودات الأولى وُجدت طبيعة
العقل أولًا، وهي تتألف من جسد مخلوق،
وليس بإمكانها أن تظل سليمة عبر الزمن الطويل؛
لكن الخيالات اعتادت أن تخدع العقل في أوقات النوم،
عندما يبدو لنا أننا نرى رجلًا قد رحل عن الدنيا.
بقي أن أقول الآن إن هذا التوجه الفكري قادني إلى هذه النقطة:
أنه ينبغي عليَّ توضيح هذه الفلسفة: أن الكون يتألف من
جسدٍ فانٍ، وأنه قد كان له أيضًا ميلاد؛
وبأي طريقة يؤدي هذا الاتحاد للمادة إلى
تكوين الأرض والسماء والنجوم والشمس
وقرص القمر؛ ثم أية كائنات حية ظهرت على الأرض،
وأية مخلوقات لم تولد فى أي عصر من العصور؛ "[٤٩]

يؤكد لوكرتيوس أن ما قدمه من أقوال فكرية ومعلومات في غاية الأهمية تفوق إنجازات البطل هرقل لأن بأقواله، وليس بقوة السلاح تفتحت عقول البشرية، ووسعت مداركهم وحاربت الجهل بالعلم والمعرفة بعدما كانت مغيبة بالفكر العقيم الذي لا يضر ولاينفع، ولهذا فإن هذا الرجل جدير بأن يوضع في عداد الآلهة كما في البيت(٥١).

وقول لوكرتيوس في البيت (٥٥) إننى أسير على أثره وأتبع أفكاره، فهذا شهادة منه على وفائه لمعلمه، وباعترافه أنه متبع لأفكاره،[٥٠] هذه الأفكار التي تقوده كما قال في البيت (٦٤) بقى أن أقول الآن إن هذا التوجه الفكرى قادنى. وبما أن لوكرتيوس اعتاد اتباع البناء الدائرى لكل فقرة من فقراته فقد ختم حديثه بدورة ميلاد الكون، مُتبعًا نظرية

([٤٩]) لوكريتيوس (٢٠١٨) فى طبيعة الأشياء ، سبق ذكره ، ص٤١٠- ٤١١.

([50])Fratantuono. L., (2015) A Reading of Lucretius' De Rerum Natura. London. p. 198., Clay. D., (1983) op.cit.p. 22.

التطور الحضاري للإنسان، وتطور الإنسان في المعرفة والتغلب على الطبيعة ويلاحظ أن لوكرتيوس أنهى مقدمة الكتاب الخامس بالعودة إلى الحديث عن دور إبيقوروس فى تبديد ظلمات الجهل وكشفه لأسرار الطبيعة.

يحاول لوكرتيوس أن يؤكد على فكرة تأليه إبيقوروس بأن صنع منه بطلًا من أبطال الأساطير، وهكذا اتخذ اتجاهًا أسطوريًا خفيًا في تأليه إبيقوروس. وقد وضح ذلك جليًا من خلال الملامح الأسطورية البارزة في معالجة الشاعر لشخصية إبيقوروس. فصناعة أسطورة إبيقوروس هي عملية ممنهجة تشمل القصيدة كلها؛ حيث يحل إبيقوروس محل الآلهة التقليدية للديانة وللأساطير الإغريقية والرومانية[٥١].

الكتاب السادس

يستهل لوكرتيوس الكتاب السادس بالحديث عن دور مدينة أثينا في معالجة البشرية التعسة أو العليلة (mortalibus aegris) ودورها التنويري، وهذا الاستهلال يرتبط بشكل وثيق بختام الكتاب السادس الذي يتحدث فيه عن طاعون أثينا، وكيف أن المرض العضوي الذي كان يرمز إلى الأمراض الأخلاقية لدى الناس الذين لم يستنيروا باتباع الفلسفة الإبيقورية. لاسيما وأنه يشيد بمدينة أثينا التي أنجبت إبيقوروس فى أقواله الآتية :

Primae frugiparos fetus mortalibus aegris
dididerunt quondam praeclaro nomine Athenae
et recreaverunt vitam legesque rogarunt
et primae dederunt solacia dulcia vitae,
cum genuere virum tali cum corde repertum,
omnia veridico qui quondam ex ore profudit;
cuius et extincti propter divina reperta

([51])Duban. J. M., (1979) op.cit . p. 54 .,

نجوى أحمد مصطفى محمد (٢٠١٤) معالجة الأسطورة في قصيدة " في طبيعة الأشياء " للشاعر لوكرتيوس: دراسة فى الشكل والمضمون، رسالة ماجيستير (غير منشورة) كلية الآداب، جامعة القاهرة، ص١٠٨.

divolgata vetus iam ad caelum gloria fertur.
nam cum vidit hic ad victum quae flagitat usus
omnia iam ferme mortalibus esse parata
et, pro quam possent, vitam consistere tutam,
divitiis homines et honore et laude potentis
affluere atque bona gnatorum excellere fama,
nec minus esse domi cuiquam tamen anxia cordi,
atque animi ingratis vitam vexare sine ulla
pausa atque infestis cogi saevire querellis,
intellegit ibi vitium vas efficere ipsum
omniaque illius vitio corrumpier intus,
quae conlata foris et commoda cumque venirent;
partim quod fluxum pertusumque esse videbat,
ut nulla posset ratione explerier umquam,
partim quod taetro quasi conspurcare sapore
omnia cernebat, quae cumque receperat, intus.
veridicis igitur purgavit pectora dictis
et finem statuit cuppedinis atque timoris
exposuitque bonum summum, quo tendimus omnes,
quid foret, atque viam monstravit, tramite parvo
qua possemus ad id recto contendere cursu,
quidve mali foret in rebus mortalibus passim,
quod fieret naturali varieque volaret
seu casu seu vi, quod sic natura parasset,
et quibus e portis occurri cuique deceret,
et genus humanum frustra plerumque probavit
volvere curarum tristis in pectore fluctus.
nam vel uti pueri trepidant atque omnia caecis
in tenebris metuunt, sic nos in luce timemus
inter dum, nihilo quae sunt metuenda magis quam
quae pueri in tenebris pavitant finguntque futura.
hunc igitur terrorem animi tenebrasque necessest
non radii solis nec lucida tela diei
discutiant, sed naturae species ratioque.
(Lucr., DRN 6. 1-41)

" في السابق كانت أثينا، ذات الاسم الشهير، أول من

نشر بين البشرية التعسة المحاصيل ذات الغلال،

وهي أيضًا أول من طورت الحياة وسنت القوانين.
وهي أول من قدمت السلوى الحلوة للحياة،
عندما أنجبت رجلًا (إبيقوروس) مزودًا بمثل ذلك العقل،
فهو الذي أطلق في ذلك العصر كل الحقائق من فمه الصادق،
فإلى الآن لا يزال مجده القديم واسع الانتشار يرفعه
إلى عنان السماء وذلك بفضل الاكتشافات المقدسة لذلك الرجل الفانٍ (الراحل).
لاحظ (هذا الرجل) أن كل الأشياء تقريبًا التى كان يحتاجها البشر
كاحتياجات ضرورية للمعيشة كانت بالفعل في متناولهم،
وأن الحياة الآمنة كانت قائمة لأقصى درجة ممكنة،
ورأى أن الناس من ذوي القدرات يستمتعون بالثراء والتكريم
والثناء، وأن السمعة الحسنة لأبنائهم ترفع من شأنهم،
ومع ذلك فلكل منهم بالمنزل قلب مضطرب،
ورأى أن حياة الإنسان النفسية يتعكر صفوها رغمًا عنه وبلا
أي توقف، وأنه يُجبر على الغضب فى شجارات عنيفة،
عندئذ أدرك أن الوعاء نفسه (أي النفس البشرية) فاسد وبه شروخ،
وأن كل الأشياء الطيبة التي جُمعت خارجه
تفسد دائمًا عندما توضع بداخله لفساده من الداخل؛
وقد اعتقد في ذلك لأنه كان يرى أن الوعاء من ناحية يرشح
وواسع الثقوب فلا يمكن أن يمتلئ بأي حال من الأحوال،
ومن ناحية أخرى لأنه رأى أن كل شيء داخل الوعاء يتلوث
بمذاق كريه بمجرد صبه فيه.
لذلك فإنه طهر قلوب الناس بأقواله الصادقة،
ووضع حدًا للشهوة والخوف.

وكشف عن الخير الأسمى الذى نسعى كلنا إليه،
وهدانا إلى الصراط ، ذلك الصراط المستقيم والضيق
الذي به يمكننا أن نبلغ الخير الأسمى من دون أن ننكص على أعقابنا.
وعلمنا أن الشر موجود فى كل شأن من شئون البشر،
فهو يحدث ويطير نحونا بطرق عديدة،
وهو يحدث بالمصادفة تارة أو بحكم الضرورة تارة أخرى، وذلك طبقًا
لما تقرره الطبيعة، ثم بَيَّنَ لنا من أي باب يمكننا أن نتصدى لكل نوع
من أنواع الشر، وبرهن على أن أمواج القلق المحزنة تموج
بلا داعي في صدور أغلب الجنس البشري.
فمثلما أن الأطفال ترتعد فرائسهم ويجفلون أمام كل شيء
فى الظلام الحالك، فكذلك نحن في النور تعترينا أحيانًا
المخاوف التي لا أساس لها إطلاقًا مثل تلك المخاوف
التي يرتعد منها الأطفال في الظلام ويتخيلون أنها ستهاجمهم.
ولذلك فإن ظلمة العقل وخوفه هذا ليس بالإمكان
تبديدهما بأشعة الشمس، أو بضوء النهار الساطع،
بل بتأمل الطبيعة وفهم قوانينها."[٥٢]

نلاحظ من الفقرة المطولة السابقة الآتي:

يتحدث لوكرتيوس في الأبيات (١-٥) عن دور مدينة أثينا في نشر الوعي الحضاري بين البشرية المعذبة، وأنها أول من نشر المحاصيل ذات الحبوب، ومن المعروف أن كيريس هي أول من قدمت المحاصيل ذات الحبوب للبشرية، وهي أول من طورت الحياة المدنية وسنت القوانين، وهي أول من قدمت السلوى الحلوة للحياة،

([٥٢]) لوكريتيوس (٢٠١٨) فى طبيعة الأشياء، سبق ذكره ، ص٥٠١-٥٠٣.

ويبدو أنه لم يذكرها بالاسم كما حدث من قبل في الكتاب الثانى والخامس ليُبين كما في الأبيات (٥-١٠) أن هناك من هو أفضل من الآلهة كلها ضمنًا وهو بالطبع إبيقوروس الذي لم يذكره بالاسم، فاكشافاته مقدسة، وكان البشر في حاجة ماسة إليها.

وفي الأبيات من (١٥-٢٣) نجد لوكرتيوس يلعب دور المحلل النفسى للنفس البشرية، وقد اعتبره البعض أكبر فرويدي فى الشعر اللاتينى، وهذا الانشغال بالتحليل النفسي ميزه عن سائر الإبيقوريين.[٥٣] فقام بتحليل النفس البشرية وشبهها بالوعاء، وأوضح أنها إذا كانت فاسدة وملوثة وفارغة وبها ثقوب فلا يمكن ملئها بأى حال من الأحوال بالأشياء الطيبة حتى ولو ملئت بها فسوف تفسد لفسادها هي نفسها، لذا يجب على الإنسان أن يطهر نفسه من الموبقات، وهذا التطهر لا يأتي إلا من إبيقوروس كما بيَّنَ في الأبيات (٢٤-٣٤) بقوله: " لذلك فإنه طهر قلوب الناس بأقواله الصادقة "، والأهم أنه كشف عن الخير الأسمى الذي نسعى كلنا إليه، ليس فقط بل وهدانا إلى الصراط المستقيم، ويالها من كلمات بديعة.

إن الخير الأسمى (bonum summum) الذي يقصده لوكرتيوس هنا اللذّة (voluptas) وهي التي كان يعنيها كما كان يعنيها إبيقوروس ويعتبرها الخير الأعظم، ويعتبرها هي أساس السعادة، وذلك لأن المدرسة الإبيقورية عرفت الفلسفة بأنها النشاط العلمي الذي يحقق السعادة في الحياة، ولا ريب أن السعادة التي قصدت إليها هي اللذة التي تعني في الفلسفة اليونانية القديمة " المتعة " وهي جوهر السعادة وضرورة وجودية يجب أن يقوم الفرد بمجهودات خاصة بغية تحقيقها، وأيضًا هي القوة الدافعة إلى تصرفات البشر وكل الكائنات الحية وغايتهم الأخيرة.[٥٤] ويرى إبيقوروس أن اللذّة

(53) Colman.J., op.cit .P.55.
(54) Daryn. L., Morrison. A.D., Alison. S., (2013) op.cit . pp.139-140.

هي أساس السعادة ، وهي الخير الأسمى (bonum summum)، كما قال ذلك خلال الإشارتين التاليتين :

. Ὅταν οὖν λέγωμεν ἡδονὴν τέλος ὑπάρχειν,
(Ep.ad Men.131,8.)

" ولذلك نقول إن اللذة هي غايتنا القصوى، "

Καὶ διὰ τοῦτο τὴν ἡδονὴν ἀρχὴν καὶ τέλος λέγομεν εἶναι
τοῦ μακαρίως ζῆν. ταύτην γὰρ ἀγαθὸν πρῶτον καὶ συγγενικὸν129.1
ἔγνωμεν, (Ep.ad Men.128-129.)

" لذلك نقول إن اللذة هي بداية الحياة السعيدة وغايتها، وهي الخير الأول الموافق لفطرتنا (لطبيعتنا)،"

يُبين إبيقوروس أن اللذة هي خير وحالة طبيعية وشعور بالرضا والاستمتاع والبهجة وترتبط بمواقف وأحداث تسُّر الشخص ومن البديهي أن يشعر بها الإنسان كما يشعر أن النار حارة وأن الثلج أبيض، وغاية الفلسفة بالنسبة لإبيقوروس كانت الوصول للحياة السعيدة والمطمئنة ولها خاصتين: " ἀταραξὶα " (ataraxia)، وتعني الطمأنينة والسلام والتخلص من الخوف و" ἀπονὶα " وتعني غياب الألم، وعلى هذا فإن السعادة والألم هما مقياس الخير والشر، واللذّة عند إبيقوروس عبارة عن توازن بين مختلف أعضاء الجسم ووظائفه، تدوم وتتواصل حاضرًا ومستقبلًا، وتعبّر عن الانسجام الكامل لحياة الفرد الجسمية والروحية معًا، واللذّة الحقيقية ليست كمًا قابلًا للزيادة غير المحدودة بقدر كونها كيفًا محدودًا قابلًا لأن تزداد نقاوته.(٥٥)

ولا يجب أن نفهم اللذة على أنها " اللذة الحسية (ἡδονὴ) " كما يفهم العامة بل إنها لذة نحصل عليها حين نكبح جماح عواطفنا وحين نرضى بالقليل وحين نفعل الخير وأن نحافظ على صحتنا العقلية والجسمانية.(٥٦)

(55)James. J.O., (2007) Inconsistency in Roman Epic Studies in Catullus, Lucretius, Vergil, Ovid and Lucan.Cambridge University press. p.127.

(56) James. J.O., (2007) op.cit . p.156., Scott. M., (2005) Virgil Recomposed the Mythological and Secular Centos in antiquity. Oxford University Press.p.98.

إذ إن " اللذة الحسية (ἡδονὴ) " هى التي يتبعها ألمٌ في حالة الإفراط في إشباعها، ومن ثم فإن اللذة الحقيقية تتم فقط في حالة "غياب الألم " (ἀπονὶα) " كما يقول إبيقوروس:

τότε γὰρ ἡδονῆς
χρείαν ἔχομεν, ὅταν ἐκ τοῦ μὴ παρεῖναι τὴν ἡδονὴν ἀλγῶμεν·
ὅταν δὲ μὴ ἀλγῶμεν, οὐκέτι τῆς ἡδονῆς δεόμεθα.
(Ep.ad Men.128,8-10.)

" بالفعل نحن لا نحتاج إلى اللذة إلا عندما يكون غيابها سببًا في الشعور بالألم، في حين أن غياب الشعور بالألم لا يجعلنا بحاجة إلى لذة. " [٥٧]

إن التعمق في تحليل اللذّة عند الإنسان يُبين تلازم اللذّة الجوهري مع قدرات الإنسان المعرفية والفكرية والاجتماعية. إذ إن اللذّة مرافقة ومتفاعلة مع النشاطات الاجتماعية ومتممة ومحفزة لها. كما يشعر الإنسان بلذة السعادة عندما يمارس نشاطًا موجهًا نحو هدف محدد، واللذّة ليست غاية في حد ذاتها، بل هي نسبية؛ وتختلف من شخص إلى آخر، ولو وُلد الإنسان كاملًا لما شعر باللذّة. هذا ويشعر الإنسان باللذّة عندما يستطيع حل صراعاته الداخلية وتحقيق درجة من التكامل في شخصيته والرضا عن ذاته والنجاح في أعماله في إطار صحة نفسية متكاملة.[٥٨]

وكما فعل لوكرتيوس في الكتاب الثالث والخامس، وكما هو معتاد منه فقد اتبع في الأبيات(٣٩-٤١) البناء الدائري لإنهاء فقرته وختمها بالحديث عن دور إبيقوروس فى تبديد ظلمات الجهل وكشفه لأسرار الطبيعة.

النتائج المستخلصة من البحث:

([٥٧]) راجع نفس النص والمعنى في Epic., Sent. 18.

([٥٨]) سيجموند فرويد (٢٠٠٧)، خمسُ حالات من التحليل النفسى، ترجمة: صلاح مخيمر، عبده ميخائيل رزق، مراجعة: مصطفى زيور، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ص ٢٢٠ -٢٢١.

لقد وجدنا أن لوكرتيوس تحدث عن إبيقوروس في قصيدته في أبيات عديدة خلال كتبه الستة وخاصة في استهلالاته حيث يتغنى بمميزات إبيقوروس وفضائله باستثناء الكتابين الكتاب الثانى والرابع، ولعله بذلك قد استبدله بمدح الآلهة.

وصف لوكرتيوس إبيقوروس في البداية بصفات الرجل البشري الفاني الجسور كبطل من أبطال الملاحم، لأنه أول من تصدى للمعتقدات الخرافية، وأول من جَرَأ على تحدي الآلهة وزاد من شجاعته رغبته في أن يخترق أبواب الطبيعة المغلقة، فهو أول من حطم المزاليج المحكمة لأبواب الطبيعة، ولم يخش من الآلهة وما يُقال عنها ولا من عقابها، أي الخارق للعادة، فهو إذن لم يخش آلهة السماء وبالتالي فهو لا يعترف بفضلها، ونتج ذلك من تفجر ثورة في داخله ضد المعتقدات الخرافية والآلهة وأساطيرها، وذلك بفضل قوة وراجحة عقله وفكره السديد المنطقي، وبهذا يصور إبيقوروس هنا بطلاً من أبطال الملاحم يقف بثبات فى مواجهة خصمه بوقوفه في وجه الخزعبلات الدينية.

لم يذكر لوكرتيوس اسم إبيقوروس صراحة إلا في الكتاب الثالث في البيت (١٠٤٢) وهو البيت الوحيد الذى يذكر اسمه فيه مباشرة في القصيدة كلها.

شبه لوكرتيوس إبيقوروس فى مقدمات الكتاب الثالث والخامس والسادس بتشبيهات بليغة جدًا وفي غاية الجمال بدأ من وصفه بالرجل الفاني إلى أن وصل به تشبيهه أنه الأب الراعي، وأفضل من أبطال الأساطير الذين صاروا آلهة، وأنه الإله الذى يُعترف بنعمه الظاهرة والباطنة على البشرية.

قسم لوكرتيوس حديثه عن إبيقوروس إلى ثلاث مراحل، المرحلة الأولى في الكتاب الأول حيث يمثل إبيقوروس "رجل إغريقي" (Graius homo , 66)، كإنسان يمثل مواطنيه في مهمة الوقوف في مواجهة الآلهة والتغلب على المعتقدات الدينية الخاطئة، والمرحلة الثانية في استهلال الكتاب الثالث حيث يمثله بمثابة الأب الروحي للبشرية (tu pateres, 9)، يقدم تعاليمه برأفة (patria……. praecepta, 9f.) ؛ إذ إن الأب

الروماني هو أساس السلطة. وتأتي المرحلة الثالثة بما نطلق عليه " تأليه" إبيقوروس بصيغة التأكيد في استهلال الكتاب الخامس " كان إلهًا، الهًا بحق " (deus ille fuit, deus, 8). تمثل كلمة (deus) ذروة التصعيد في المدح، الذي بدأ بكونه إنسان (homo) بالاستهلال الأول، ثم الأب (pater) باستهلال الكتاب الثالث، حى صار إلهًا في الخامس.

في الكتاب السادس والأخير يقوم لوكرتيوس بتحليل النفس البشرية وشبهها بالوعاء، وأوضح أنها إذا كانت فاسدة وملوثة وفارغة وبها ثقوب فلا يمكن ملائها بأي حال من الأحوال بالأشياء الطيبة حتى ولو ملئت بها فسوف تفسد لفسادها نفسها لذا يجب على الإنسان أن يطهر نفسه من الموبقات، وهذا التطهر لا يأتي إلا من إبيقوروس كما بين فى الأبيات (٢٤-٣٤) بقوله لذلك فإنه طهر قلوب الناس بأقواله الصادقة، والأهم أنه كشف عن الخير الأسمى (bonum summum) والذي يقصد به لوكرتيوس اللذة وهي التي كان يعنيها كما كان يعنيها إبيقوروس ويعتبرها الخير الأعظم، ويعتبرها هي أساس السعادة، وذلك لأن المدرسة الإبيقورية عرفت الفلسفة بأنها النشاط العلمي الذي يحقق السعادة في الحياة الذى نسعى كلنا إليه، وغاية الفلسفة بالنسبة لإبيقوروس كانت الوصول للحياة السعيدة والمطمئنة ولها خاصتين : " (ἀταραξìα) " (ataraxia)"، وتعني الطمأنينة والسلام والتخلص من الخوف و" (ἀπονìα) " وتعني غياب الألم.

وأخيرًا لاحظنا أن لوكرتيوس أنهى نهاية فقراته التي يتحدث فيها عن إبيقوروس في الكتاب الثالث والخامس والسادس بالعودة إلى الحديث عن دور إبيقوروس فى تبديد ظلمات الجهل وكشفه لأسرار الطبيعة، وقد اعتاد لوكريتيوس اتباع البناء الدائري لكل فقرة من فقراته .

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر الأجنبية:

Epicurus., (1971) La Lettre d Epicure [a Herodote] edd. J .Bollack ., M . Bollack., and H . Wismann (Paris : Editiions de Minuit)

Epicurea.,(1963) ed . H .Usener (Rome: L Erma)

Lucretius., (1953) De Rerum Natura. Withan English Translation by. W. H. D. Rouse., L. C. L. London .

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

Asmis., E., (1984) Epicurus' Scientific Method. Ithaca and London.

Barrow. R. H ., (1960) The Romans . London .

Bolton. L., (2002) Classical Mythology Book. Greek and Roman Gods' Goddesses. Heroes and Villains from Ares to Zeus. U.S.A.

Clay. D., (1983) Lucretius and Epicurus. London.

Colman. J., (2006) Science and Poetry.A study of Lucretius, on the Nature of Things. Boston College.

Chris. E., (2019)" Lucretius on the Divine. *DRN* 3.17-30, 5.1161-93, and 6.68-79" Mnemosyne 72 pp. 284-299.

Daryn. L., Morrison.A.D., Alison.S.,(2013) Lucretius: Poetry, Philosophy, Science. Oxford University Press.

Duban. j. M.,(1982)"Venus , Epicurus and Naturae Species Ratioque"AJph.103. p.165-177.

Duban. J. M., (1979) "Ratio divina mente coorta and the Mythological Undercurrent in the Deification of Epicurus", Prudentia 11.

Dudley. D. R ., (1960) Civilization of Rome . London .

Francesco. M., (2012) Lucretius and His Sources.A study of Lucretius, De Rerum Natura.1.Berlin. Boston.

Fratantuono. L., (2015) A Reading of Lucretius' De Rerum Natura. London.

Gale. M. R., (2008) Oxford Reading in Classical Studies Lucretius. Oxford University Press. New York.

Gale. M. R., (1994) Myth and Poetry in Lucretius. Cambridge.

Hardie. P., (2009)Lucretian Receptions, Cambridge.

Jacques. L., and Liza.B.,(2016)Lucretius and Modernity Epicuream Encounteros Across Time and Disciplines. New York.

James. J. O., (2007) Inconsistency in Roman Epic Studies in Catullus, Lucretius, Vergil, Ovid and Lucan.Cambridge University

press.p.127.
Marsh, J.,(2001) Cassell's Dictionary of Classical Mythology. Cassel and Company. London.
Monica. R. G.,(2008) Oxford Reading in Classical Studies Lucretius.Oxford University Press.New York.
Nethercut. J. S., (2017)" "Roots" in Lucretius' De Rerum Natura"A J Ph, vol. 138,pp. 85-105.
Scott. M.,(2005) Virgil Recomposed the Mythological and Secular Centos in Antiquity. Oxford University Press.
Van . N. S., Beginning in the De Rerum Natura .Treasuries of Influence and Intertextuality. University of Leiden .Master Classics and Ancient Civilization. Faculty of Humanities.p.28.

ثالثًا: المراجع العربية:

أبيقور (٢٠٠٩) الرسائل والحكم، دراسة وترجمة: جلال الدين سعيد، الدار العربية للكتاب، بيروت، لبنان.

أبيقور (١٩٩٤) مؤسس المدرسة الأبيقورية، إعداد: كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى.

بيار بويانسي (١٩٨٠) إبيقورس، تعريب: بشارة صارجي، سلسلة أعلام الفكر العالمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، لبنان، ط١.

جمال أبوالوفا (٢٠١٨) " الحيل والصور البلاغية فى نماذج من قصائد كاتولّوس" مجلة أوراق كلاسيكية العدد الخامس عشر، ديسمبر ٢٠١٨، ص ٧٧٦ . ص٧٧١ –٨٢١.

دف.ج. و.،(١٩٦٤) تاريخ الأدب الرومانى ، ترجمة: محمد سليم سالم، راجعه: محمد صقر خفاجة، مركز كتب الشرق الأوسط .ج٢.

سيجموند فرويد (٢٠٠٧)، خمسُ حالات من التحليل النفسي، ترجمة: صلاح مخيمر، عبده ميخائيل رزق، مراجعة: مصطفى زيور، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة .

عبدالمعطى شعراوى(١٩٨٢)، أساطير إغريقية، أساطير البشر، الجزء الأول. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة .

علي عبد التوب علي، صلاح رمضان السيد (٢٠٠٦)، الأدب اللاتيني فى عصري الجمهورية وصدر الإمبراطورية. قراءة فى الأجناس الأدبية، القاهرة.

لوكريتوس،(٢٠١٨) فى طبيعة الأشياء، ترجمة: على عبد التواب على (وآخرون)، صلاح رمضان السيد ، سيد أحمد صادق ، مراجعة وتقديم: عبد المعطى أحمد شعراوى، المركز القومى للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى.

نجوى أحمد مصطفى محمد (٢٠١٤)، معالجة الأسطورة فى قصيدة " فى طبيعة الأشياء " للشاعر لوكريتيوس: دراسة فى الشكل والمضمون، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب – جامعة القاهرة .